مداخلة بعنوان:

خطاب سوسيولوجيا الدين عند محمد أركون ويوسف شلحت

الأستاذة: حاكو مليكة

"جامعة سعيدة"

ملخص:

إن علم الاجتماع الذي يفترض منه دراسة الواقع الاجتماعي للمجتمع، و الذي في مسار دراسته، يعمل على تفكيك الواقع من اجل تحليل سلوك الأفراد و الجماعات، و الذي لا يكتفي في ذلك بدراسة الممارسات، بل الأفكار و الاعتقادات، و المفاهيم، الذي يتبناها المجتمع في تنظيم المجتمع. هذا العلم الذي يفترض بهذا الواقع أن يكون نتاج لأفراد من المجتمع بحد ذاته حتى تكون التحاليل المنتجة عنه، مفسرة له.

في مداخلتي هذه، سنتحدث عن مدى تحليل علم الاجتماع الغربي للواقع العربي؟ و هل ساهمت المحاولات العربية في بناء علم الاجتماع العربي؟ و هل كانت هذه المحاولات فعالة في تسير الواقع العربي؟ و هل يمكن تصنيفها باعتبارها علم اجتماع فعلي يحتوي على المنهج و النظرية و التقنيات و المفاهيم المفسرة داخليا للواقع الاجتماعي العربي؟ و هل هي مؤسسة على الفكر السوسيولوجي الغربي أم أنها خالصة في البناء الداخلي لها؟

و من اجل هذا أخذنا مثالين في علم الاجتماع الديني، و هما كل من المفكرين: "محمد أركون" و "يوسف شلحت".

الكلمات المفتاحية:

1-سوسيولوجيا الدين.2ـــ محمد أركون.3ـ ـ يوسف شلحت.4ـ سوسيولوجيا العرب.

التمهيد:

إن الغرب، قد ساهم، بشكل كبير في بناء أسس علم الاجتماع، و من بين التخصصات الهامة في هذا الرافد العلمي، علم اجتماع الدين، و الذي أسسه مجموعة من كبار علماء الاجتماع الغربيين، و على سبيل المثال لا الحصر، نجد"**ماكس فيبر**"،"**إميل دوركهايم**"، "**فان جناب**"، ووجود هؤلاء و غيرهم، لا ينفي البتة، وجود إسهامات عربية، و التي نذكر منها، "**ابن خلدون**"، و رغم انه ليس بموضوع مداخلتي، إلا انه يمكن الإشارةإليه، كتدليل على انه للعرب إسهام في بناء علم اجتماع الدين،و من الشخصيات الأخرى المساهمة، نذكر "**محمد أركون**" و "**يوسف شلحت**".

لقد ساهم"**ابن خلدون**"في بناء السوسيولوجيا من خلال، اكتشافه "**علم العمران**"، و الذي يتفق جل علماء الاجتماع انه هو علم الاجتماع، و أن الفضل إنما يعود إلى العلامة "**ابن خلدون**"،و الأمر في المقابل،ساهم في نشاء سوسيولوجيا للدين، و ذلك، راجع إلى إدراج حتى الدين في العلاقة التي تربط بين أنماط الحياة و مختلف الأقاليم الخاضعة إلى حتمية لا تستثني الدين، و هذا في قوله:"**إن اثر الخصب في البدن و أحواله يظهر حتى في الدين و العبادة فنجد المتقشفين من أهل البادية أو الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع و التجافي عن الملاذ أحسن دينا و إقبالا على العبادة من أهل الترف و الخصب بل نجد أهل الدين قليلين في المدن و الأمصار لما يعمها من القساوة و الغفلة المتصلة بالإكثار من اللحمان و الادم و لباب البر**"[1]، مؤكدا، أنليس للدين أي أولوية في بناء الدولة، بل و يؤكد أنها حتى و لو كانت دولة دينية،فإنها لن تتأسس و تدوم إلا بارتكازها على العصبية[2](بمعنى أوضح على ما هو دنيوي لا على ما هو ديني، و ما تتفق عليه الجماعة و المصلحة العامة)، بل و يشير إلى أن حتى الدين لا يمكن له الاستمرار و القوة إلا إذا بعث في قوم ذو عصبية قوية[3]، و ذلك في القول:"ما بعث الله نبيا إلا في منعة من قومه"[4].فلا استمرارية لا للملك و لا الدين الى في احضان عصبية قوية.

كما يشير الى ان الدين مرهون بالعصبية التي تتنامى و تضمحل مع الانتقال من البداوة الى الحضر، و الانتقال من الاقتصاد البدوي الى التنوع في علاقات الانتاج و ما بتبع ذلك من تغير في الحياة الاجتماعية ككل، و من بين هذه الحياة الاجتماعية التي تتغير، الدين، فتتخفف وتيرة الاعتقادات الروحية، تبعا للوتيرة التي تتخفف بها العصبية[5]،اذ يقول "**ابن خلدون**": "**الناس على دين ملوكهم، مثلما يقلد الابن اباه، و الدين يعكس الاساس**

---

[1]-جورج لابيكا:تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون،ترجمة: شبيب بيضون، دراسات عربية،العدد5-1986،د.ب،الصفحة92.

[2]-جورج لابيكا:تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون،ترجمة: شبيب بيضون، دراسات عربية،العدد5-1986،د.ب،الصفحة93.

[3]-يقدم ابن خلدون امثلة عن دعاة و مبشرين، خابوا في دعوتهم لضعف عصبيتهم، و من بين الامثلة التي يقدمها لمت ابن خلدون، داعية يدعى:العباس،:"ادعى مثل هذه الدعوة و اتبع نعيقه الارذلون من سفهاء تلك القبائل و اغمارهم و زحف الى بادس من امصارهم و دخلها عنوة ثم قتل لأربعين يوما من ظهور دعوته و قضى في الهالكين الاولين". المرجع: جورج لابيكا: تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون، ترجمة: شبيب بيضون، دراسات عربية،العدد5-1986،د.ب،الصفحة94.

[4]- جورج لابيكا:تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون،ترجمة: شبيب بيضون، دراسات عربية،العدد5-1986،د.ب،الصفحة94.

[5]-بتنامي الحاجات و الميل الى الترف و الانتقال من حياة البدو الى الحضر و ما يتبع ذلك من تغيرات اقتصادية و سياسية و اجتماعية و ثقافية و غيرها، يؤدي ذلك الى تآكل الدين و اضمحلاله. المرجع: جورج لابيكا:تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون، ترجمة: شبيب بيضون، دراسات عربية،العدد5-1986،د.ب،الصفحة95.

الاقتصادي-الاجتماعي الذي انتجه، و هو لا يفترق بذلك عن العرف و العادات التي تتبع المقادير السياسية"[6].

و بالارتكاز على هذه المقولات و غيرها مما يقدمه، لنا ابن خلدون، ان الدين انما هو ظاهرة كباقي الظواهر، التي يجب على عالم الاجتماع دراستها و تمحيصها، و بنفس التبرير العلمي بين الظواهر، فان العلاقة بين الدين و العصبية، علاقة تكامل، اذ تدعم العصبية الدين و تساعده على الانتشار، و هو في المقابل، تقوي وحدة الدين في العصبية و قوته الى تقوية العصبية و استمرار سلطانها، و العكس صحيح، اذا ما كانت العصبية ضعيفة فالدين سيلقى رفضا، و اذا كان الدين ضعيفا فان العصبية ستضعف و تتلاشى.

سنتوقف عند هذا القدر من الطرح الخلدوني للدين، حتى لا تحيد عن موضوع مداخلتنا هذه، و الذي في المقابل، لا تنتقص، من اهميتها، فهي، تثبت لنا الاسهام العربي في بناء سوسيولوجيا عامة، و سوسيولوجيا الدين، و التي سبقت الاسهام الغربي، فترة طويلة من الزمن، لكن تابع، الغرب، المسار الفكري، مرتكزين على افكار ابن خلدون و غيرهم من المفكرين، حتى اصبحنا اليوم نتكلم عن علم اجتماع الدين.

و السؤال، الذي يطرح نفسه اليوم، ساعدتنا، اسهامات، المفكرين العرب، المعاصرين، على بناء سوسيولوجيا الدين، خالصة، ام انها ستكون تابعة لعلم الاجتماع الدين الغربي؟.

ستكون خطة العمل كالتالي:

1.التعريف بكل من "يوسف شلحت" و "محمد أركون" ،بالإضافة إلى التعريف بـــــ "ابن خلدون "على هامش المداخلة.

2.طرح أفكار كل من "يوسف شلحت" و "محمد أركون".

3.مساهمةكل من المفكرين في بناء علم اجتماع الدين العربي.

I.التعريف بكل من "يوسف شلحت" و "محمد أركون":

1.1.التعريف بـــــــ "يوسف شلحت"[7]:

[6]-جورج لابيكا:تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون،ترجمة: شبيب بيضون، دراسات عربية،العدد5-1986،د.ب،الصفحة95.

المفكر "يوسف شلحت": هو **يوسف باسيل شلحت،** من مواليد حلب عام 1917م،المتوفي بباريس 1977م، ذو الاسم الفرنسي**JosephChelhot**،و الاسم المستعار لمرة واحدة "**فؤاد شهاب**"، **و هو عالم اجتماعي و اثنولوجي،و له عدة أبحاث**

و مؤلفات، تصب في موضوع واحد و هو الدين لدى العرب، و التي على سبيل المثال نذكر منها:"علم الاجتماع الديني،1946،حلب"،"الأسرة و المجتمع،1946"،"البركة عند العرب،1955"،"العالم الأسطوري العربي،1955"،"ملحظ حول كلمة "رب" في القران،1958"،"بحث في قبيلة سلوبا،1957"،"شروط أداء الصلاة في الإسلام،1959"،"مدخل إلى علم اجتماع الإسلام،1958"،"نحو سوسيولوجيا الإسلام،1960"،"بنى المقدس عند العرب،1996،تعريب خليل احمد خليل، دار الطليعة"،"بدو النقب"، بالإضافةإلى مجموعة من الأعمالالأخرى، و المتمثلة في مقالات و مداخلات و تحقيقات عن رحلات، مثل "رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام و صحاري العراق و العجم و جزيرة العربية،1991"،و قد انضم إلى "المركز الوطني للبحوث العلمية،CNRS "في باريس، و قد اهتم في دراساته بكل ما يرتبط بالعرب(الإسلام، العربية، التاريخ الاجتماعي و الحضارة و الدين و الثقافة).

2.1التعريف بـــــــــ "محمد أركون"[8]:

المفكر "محمد أركون": ولد في الجزائر عام(1928)، في ظل النظام الكولونيالي، أين تابع تعليمه الثانوي و الجامعي، في الجامعة الجزائرية في أوائل الخمسينات، في إطار التكوين الأوروبي، و ذلك راجع إلى كون البرنامج الدراسي المطبق في الجزائر، هو نفسه نمط التكوين المعتمد في باريس ذاتها. إلا انه بقي مشدودا للحضارة العربية الإسلامية(المجتمع الجزائري)، و على الرغم من إقامته الطويلة في فرنسا، بقي مرتبطا، بدراسة المجتمع الجزائري و التفكير في همومه و مشاكله، و قد اهتم في جل أعمالهإن لم نقل كلها، بدراسة الدين و بالخصوص الإسلام، وله عدة أعمال، و كتب نذكر على سبيل المثال لا

---

[7].يوسف شلحت: مدخل إلى علم اجتماع الإسلام "من الارواحية إلى الشمولية "،تعريب:خليل احمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة(1)،2003،،بيروت/لبنان،الصف9،10.

[8].محمد أركون: العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان، الصفحة 127.

الحصر، "العلمنة و الدين–الإسلام، المسيحية، الغرب"، "معارك من اجل الأنسنة في السياقات الإسلامية"، و غيرها من الكتب و الأعمال. توفي عام 2010.

3.1.التعريف بـــــــــ "ابن خلدون"[9]:

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسنبن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد(خلدون) الحضرمي ، بتونس(رمضان732ه/27 ماي 1332م)، و قد تحصل على سائر علوم عصره(التفسير،اللغة،النحو،الصرف،البلاغة، الأدب، علوم المنطق، الفلسفة، العلوم الطبيعية، الرياضيات)،كما هاجر إلى المغرب الأقصى(750ه)أين نصب عضوا في المجلس العلمي لفاس، كما سافر إلى غرناطة، و إلى الجزائر، أين، ألف كتابه الشهير "المقدمة": "كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". بالإضافةإلى كتابه: "التعريف"،توفي في26 رمضان808ه/16مارس1405م.

II.البنية النظرية لكل من "يوسف شلحت" و "محمد أركون":

1.2.البنية الفكرية لـــ"يوسف شلحت":

إن الخطوة التي، مر بها "يوسف شلحت"، في قراءته للإسلام، لا تتأتى إلا بقراءته لتطور الفكر الديني لدى العرب، الأمر الذي يجعل ،من علم اجتماع الديني خاص بالإسلام ، سهلا، بناء، على الخطوات التحليلية المتبعة، و في المقابل، فالباحث، لديه، كتابين، الأول "مدخل إلى علم اجتماع الإسلام"، و الثاني" نحو سوسيولوجيا الإسلام"، و إنما هذا، دليل على المجهود المبذول، من اجل إقامة، سوسيولوجيا متخصصة في قراءة الإسلام، و هذا إنما، قد يكون راجعا، من اجل، وضع الكتاب المقدس(القران)، التاريخ الإسلامي،و الشخصيات المعروفة فيه، في ميزان العلم، لا التطرف الديني، من جهة، أو الانغلاق الفكري من جهة أخرى(و نقصد بذلك، تحرير التفكير في الإسلام، من التطرف الديني و الذي ينحصر غالبا في المستشرقين،من جهة، و الانغلاق الفكريو الذي يتمثل في الرؤية المنغلقة للدين

[9].محمد شهاب: رواد علم الاجتماع،ص.ص9،10،11،12 www.kotobarabia.com

الإسلامي و القداسة التي تلف شخصياته،و تاريخه بالخصوص، و التي تقول بعدم التفكير فيه، و اعتباره مقدس، و التفكير في النص بالنسبة لهم هو خروج عن الإسلام).

إنأول ما يبدئ به، يوسف شلحت، دراساته، هو المقدس لدى العرب، و من المهم، دراسة المقدس أو كل ما هو ديني، باعتباره واقعة اجتماعية[10]، و هو الآن، و في هذه الحالة المعرفية بالذات، يحاول، الانقطاع المعرفي، عن ما هو متعارف عليه لدى النسق المعرفي العربي، و هو عدم البحث فيما هو ديني.

وحين ذاك سيسهل على الدارس، وضع الإسلام في دائرة المدروس و المباح،و إخراجه من دائرة الممنوع و المحرم. أين يتم دراسة الإسلام، بوصفة ظاهرة اجتماعية[11] ، تماما كما تدرس الظواهر الاجتماعية الأخرى.

إن أهم، ما أشار إليه، يوسف شلحت، في محاولته، التفكيرية، في الإسلام، هو أنالإسلام، إنما ،هو نتاج، لتغيرات و تطورات اجتماعية و اقتصادية و سياسية، أدتإلى ظهوره، وهذا إنما تأتى، عبر مراحل معينة، حال البداوة، حال الحضر، و حال الحضارة(المدينة)، إلى غاية لحظة انتصار الإسلام[12].

و عليه فان الإسلام، إنما هو نتاج أو "مؤلفة" على حد تعبير يوسف شلحت، "للتمثلن" الجماعي[13].

لقد عمل "يوسف شلحت" على دراسة المقدس و القدسي، في كل الديانات، التوحيدية و غير التوحيدية، النبوية(اليهودية–المسيحية–الإسلام) و اللانبوية (الطوطمية)،مؤكدا إن الديانات، هي ظاهرة من نتاج المجتمع، و عليه، يمكن، بل تجب دراستها و قراءتها، لأنها ليست متعالية و فوق الدرس، بل هي تماما مثل الظواهر المجتمعية الأخرى[14]، و عليه يتم

---

[10].يوسف شلحت: مدخل إلى علم اجتماع الإسلام "من الارواحية إلى الشمولية "،تعريب: خليل احمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة(1)، 2003، بيروت/لبنان، ص 21.

[11].يوسف شلحت: مدخل إلى علم اجتماع الإسلام "من الارواحية إلى الشمولية "،تعريب: خليل احمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة(1)،2003،بيروت/لبنان،ص22.

[12].يوسف شلحت: مدخل إلى علم اجتماع الإسلام "من الارواحية إلى الشمولية "،تعريب: خليل احمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة(1)،2003،،بيروت/لبنان،ص22.

[13].يوسف شلحت: مدخل إلى علم اجتماع الإسلام "من الارواحية إلى الشمولية "،تعريب: خليل احمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة(1)،2003،،بيروت/لبنان،ص22.

[14]-يوسف شلحت:نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني(الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)،تعريب: خليل احمد خليل، منشوراتANEP/دار الفارابي الطبعة(1)2003،بيروت/لبنان،الصفحة13.

إدراج و موضعة الأديان في حقل الإبداع و المخيال الاجتماعي، ليؤكد أن من مهام علم الاجتماع، أنيعمل على تحويل كل ما هو ممنوع من الدرس و التحليل إلى الممكن و المباح، لتتم إمكانيةإدراجالأديان في خانة مواضيع البحث السوسيولوجي، خاصة تلك الأديان التي تمنع من خلال تأطير الجمهور يمنع البحث في الدين(سواء من المتدين أو غير المتدين)، هنا فقط يمكن تغيير الوعي المجتمعي للدين و رجال الدين بأهمية دراسة الدين سوسيولوجيا.

كما أكدأيضا،إن المقدس يدرس سوسيولوجيا[15]، في هذا الموضع بالذات، راهن "يوسف شلحت" على إقرار هذا التأكيد، في مجتمع نقلي–روائي، رغم تطوره، فانه لا زال يركز على ألحكي، أكثر مما يهتم بما هو مكتوب ، زد على ذلك، فان ما قدمه الباحث في البحث السوسيولوجي–الديني، كان خطوة مهدت للدراسات اللاحقة به.

إضافةإلى هذا، فقد أكد "شلحت" على فكرة أخرى، مفادها، أن علم الاجتماع، هو علم غير إيديولوجي، ما يعني إن دراسة الدين، تكون قائمة على أساس اعتباره ظاهرة مجتمعية، لا باعتباره إيديولوجيا تستخدم لمواجهة إيديولوجياأخرى.

فالمهم، هو دراسة الدين، لمعرفة و تحديد مدى نسبة حدوث، الحدث الديني، قوته،و تأثيره في المجتمع و به[16].

مؤكدا أيضا، أن الدين(العقائد الدينية)هي نتاج مجتمعاتها، و ذلك عبر المسار الذي تسلكه في التغير و التطور، و ليست إنتاج فردي(رجال الدين، أنبياء،رسل،كهنة،عرافون)، إنما هم، إن جازت التسمية، ممثلين للمقدس في الاجتماعي، بالإضافة إلى هذا،فان التباين في السلوك الديني، يكون جليا بين الديانات الطوطمية و الديانات التوحيدية التي تلتها، و التي تشترك رغم الاختلاف، في ثابت واحد، و هو حاجة المدنس للمقدس، أي حاجة المتناهي إلى اللامتناهي[17].

---

[15]- يوسف شلحت: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني(الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)،تعريب: خليل احمد خليل، منشوراتANEP / دار الفارابي الطبعة(1)2003،بيروت/لبنان،الصفحة14.

[16]- يوسف شلحت: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني(الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)،تعريب: خليل احمد خليل، منشوراتANEP / دار الفارابي الطبعة(1)2003،بيروت/لبنان،الصفحة15.

[17]- يوسف شلحت: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني(الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)،تعريب: خليل احمد خليل، منشوراتANEP / دار الفارابي الطبعة(1)2003،بيروت/لبنان،الصفحة16.

إذأن العقيدة، هي حدث اجتماعي، قبل أن يكون إبداعاأوإنتاجا شخصيا(رجال الدين....)، و لو كانت كذلك لرفضت من الأفراد و قومت[18]، و ذلك راجع إلى كونها تعبير، عن حالة شعورية إيمانية مرتبطة بالمعتقدات الدينية لجماعة ما، في زمن ما[19].

2.2.البنية الفكرية لـــ"محمد أركون":

يستخدم، "محمد أركون"، لفظة "ظاهرة"[20]، في حديثه، عن الإسلام، و ذلك رغبة منه في تحقيق الفرق المفهوماتي بين الإسلام، الذي يعتقد العامة انه يفهمونه، بناء على النصوص الكلاسيكية القديمة، و ذلك الإسلام الذي تصوره لنا المقاربة الإيديولوجية للغرب و بالخصوص، تلك التي تنتجها فرنسا، و بين ذاك الإسلام الذي لا يتعدى من الناحية السوسيولوجية، كونه ظاهرة دينية، يجب على الدارس و الممارس له على حد السواء البحث فيها و فهمها بكل تعقيداتها.

يشير "محمد أركون"، إلىأمرآخر، و هو علاقة الدين بالعلمنة، مؤكدا على الدين بصفة عامة، ذلك لانصهار كل الأديان فيه، الكتابية و غير الكتابية، مشيرا إلىأن المسيحية، قد نالت الحظ الوافر من الدراسات في علاقتها بالعلمنة، و ذلك يعود كونها دين أوروبا، و هي الرائدة في البحث العلمي التقني و الأناسي–المجتمعي على حد السواء، من جهة، أماالإسلام فترك للمستشرقين للبحث فيه، و من جهة ثالثة، بقيت الديانات الخاصة بإفريقيا و آسيا، و التي تعتبر ديانات وثنية، ذات الصلة بالعقلية البدائية، من اهتمام، علم العراقة(الاثنولوجيا)[21]،و لهذا على الباحث اخذ الظاهرة الدينية بعين الاعتبار، لا التركيز على دين دون الآخر.

يؤكد "محمد أركون" إلى أن الدين، يحتل مكانة ذا أهمية بالغة في المجتمعات العربية و الإسلامية[22]، إلى درجة يمكن اعتباره الموضوع الأول بدون منازع للدراسة من طرف الباحثين، ذلك لان الظاهرة الدينية في المجتمعات العربية ، لازالت حتى اللحظة، طاهرة لا

---

[18]- يوسف شلحت: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني(الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)،تعريب: خليل احمد خليل، منشوراتANEP / دار الفارابي الطبعة(1)2003،بيروت/لبنان،الصفحة71.

[19]- يوسف شلحت: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني(الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)،تعريب: خليل احمد خليل، منشوراتANEP / دار الفارابي الطبعة(1)2003،بيروت/لبنان،الصفحة72.

[20]-محمد أركون: العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان، الصفحة 19.

[21]-محمد أركون: العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان، الصفحة 14.

[22]-محمد أركون: الفكر الإسلامي "نقد و اجتهاد"، ترجمة و تعليق: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1998 ،بيروت/لبنان،الصفحة18.

مفكر فيها، داخل الفكر العربي الإسلامي، حيث إن عجلة الفكر قد توقفت، عند ما تم التفكير فيه حول الإسلام، منذ الفترة الأموية[23].

إن محاولة التفكير في الإسلام، سواء كان النص أم الممارسات الحالية أو التاريخ الإسلامي، إنما هي محاولة ، لتحريك المجتمعات العربية الإسلامية، من جهة، و هدم السياج الدوغماتي المغلق، الذي بني حول الإسلام، من اجل إيصالهإلى مرحلة التحجر و الركود.

يشير "محمد أركون"، إن العالم المسيحي، قد مر بهذه الخطوة التي، يدعو المجتمع الإسلامي للمرور لها، و التي تتمثل في، قراءة علمية–منهجية للنص المقدس و التاريخ الإسلامي و الإسلام المعاش على حد السواء، دون استثناء أي موضوع من حقل البحث و التنقيب.

إن العلمنة فكرة أساسية، و ذات أهمية بالغة في فكر أركون، كونه في المقام الأول، يصرح، بأنه علماني[24]، و يمارس العلمانية في حياته العلمية، و أثناءأداءه لمهام التدريس.

إن العلمنة، أو العلمانية، هي "موقف للروح، يقول أركون، و هي تناضل من اجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى الحقيقة"[25]،و الذي يعني إن العلمنة، تعمل على معرفة الواقع، دون الارتباط بأي معرفة دون الأخرى، بغض النظر عن الاختلافات الموجودة بين الأفراد، سواء الباحثين عن الحقيقة أو المستقبلين لها، و هيأيضا تلك المهمة التي يمارسها المدرس، أي الناشر للمعرفة و العلم، و التي يجب أن تتم، دون تقييد حرية[26] المتعلم و تكبيلها.

هذه العلمنة، يؤكد، أركون انه، عرفها المجتمع الإسلامي، و الذي لا ينفك ينكر، معرفته لها، و لا ضرورة لمحاولة انتهاجها، لان الإسلام، إنما هو دين و دنيا، إذ يعطينا أركون،

---

[23]-محمد أركون: الفكر الإسلامي "نقد و اجتهاد"، ترجمة و تعليق: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1998 ،بيروت/لبنان،الصفحة19.
[24]-محمد أركون: العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان، الصفحة 9.
[25]-محمد أركون: العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان، الصفحة 10.
[26]-محمد أركون: العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان، الصفحة 11.

مثال المعتزلة[27]،و الذي يشيرإلى انه، تيار فكري، ظهر، مرتبط بالأطر الاجتماعية للمعرفة و ليس بالإسلام كدين، و الذي يعتبر نتاج للتطور الاقتصادي و الاجتماعي للمراكز الحضرية، متحكما ذلك في نشر العلوم العقلانية، التي أدتإلى علمنة الفكر[28].

إذ تعمل، العلمانية الحقة،لا الذي يتداولها الناس في مجالسهم إلى وضع مسافة نقدية بين الأفراد و العقائد و القيم،ذلك من اجل تحقيق حجج في حالات المجالات مع الأديان و الثقافات الأخرى و ذلك ما يدعو إليه "أركون"،لتعليم الأديان في الجامعات الفرنسية[29]

متحدثا عن ضرورة، نشأة ، حقل للبحث، اسماه الإسلاميات التطبيقية، و لكن قبل ذلك، تحدث عن الإسلاميات الكلاسيكية، و التي يؤكد على أنها، ذلك الخطاب الغربي حول الإسلام[30]،كما، إن هذا النوع من الإسلاميات، كان مطبقا في عهد المستعمرات[31]، و التي تهتم بدراسة الاسلام، من خلال كتابات الفقهاء[32]، في المقابل، فان الاسلاميات التطبيقية، تهدف الى دراسة الاسلام، ضمن منضور المساهمة في انجاز الانثروبولوجيا الدينية، و كذا الرؤية المقارنة للأديان[33]، لا الوصف المتعالي لدين دون الاخر(عكس الاسلاميات الكلاسيكية التي تصف الاسلام، وفق المنظور الافتخار الهجومي)، و حتى يتم هذا و يتأتى للباحث، عليه ان يكون مختصا، في الالسنيات بشكل كامل، و كذا الاخذ بعين الاعتبار عوامل متعددة[34]التركيبة النفسية و الاجتماعية(الفردي و الجماعي)،التاريخي(تطور المجتمعات الإسلامية)،السوسيولوجي(أي كيفية عمل الدين في المجتمع و في المقابل تأثير المجتمع في الدين و توجهيه)،و الثقافي(و التي تشكل الادب، الفن و غيرها من الابداعات الفردية و الجماعية)، وكذا التنظيم الاجتماعي و بالخصوص تقسيم العمل، الذي يلعب فيه المجتمع و الدين دورا هاما. كل هذه الجوانب، على الباحث في الاسلاميات

---

[27]-كلمة معتزلة تعني حرفيا أولئك الذين وضعوا أنفسهن جانبا و اعتزلوا بمحض إرادتهم للتأمل و التفكير، في حين الأرثدوكسية استغلت التسمية و حرفتها عن معناها الأصلي فأصبحت تعني المعزولين أو المفترقين عن الأمة، الذين(المعتزلة/في القرن الثاني هـ و الثامن ميلادي)عالجوا مسائل عديدة من أهمها مشكلة القران المخلوق.المرجع:محمد أركون: العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان، الصفحة 20.

[28]-محمد أركون: العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان، الصفحة 21.

[29]-محمد أركون: معارك من اجل الانسنة في السياقات الإسلامية، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(1)2001، بيروت/لينان، الصفحة299.

[30]-و التي يسميها، أركون، بـــ:l'islamologie، أي الخطاب الذي يهدف إلى العقلانية في دراسة الإسلام، و التي هي، في الواقع اختراع غربي، إذ العرب و اكتفوا، بالحديث عن الإسلام، نفس الأمر، الذي حدث مع المسيحيين في اهتمامهم بالمسيحية. المرجع: محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي و المركز الثقافي العربي، د.ت، د.ب ، الصفحة51.

[31]-محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي و المركز الثقافي العربي، د.ت، د.ب ، الصفحة54.

[32]-محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي و المركز الثقافي العربي، د.ت، د.ب ، الصفحة52.

[33]- محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي و المركز الثقافي العربي، د.ت، د.ب ، الصفحة56.

[34]-محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي و المركز الثقافي العربي، د.ت، د.ب ، الصفحة57.

التطبيقية ان يأخذها بعين الاعتبار، بالإضافة الى اعتماده على تخصصات متعددة لإنجاز مهمته(الادب،اللغة،الفلسفة،الفن،الالسنيات،التاريخ....).

ان كل ما يدعو اليه "أركون"، هو تعليم الظاهرة الدينية[35] في المسار التعليمي(في المؤسسات التعليمية الحكومية الفرنسية بالخصوص)، دون أي حرج(على المستوى المعرفي او الديني)، و هذه الدعوة راجعة الى، و على عكس الدول العربية، التي تعلم الدين في كل المسارات التعليمية–التربوية، فان المجتمع الفرنسي، بالخصوص لا يملكادنى فكرة عن دينه المسيحي، ما عدا تلك التي تربطه به في الازمنة المقدسة و على المستوى الشخصي، ما جعل اركون، يدعو الى تعليم الاديان[36] لا دين دون اخر في المدارس الغربية و الفرنسية.

تلي هذه الخطوة، الدعوة الى الانثروبولوجيا الدينية، و التي هي، ذات اهمية كبيرة، في مسار البحث السوسيو–انثروبولوجي للدين، متعدية دراسة الدين الواحد، بل تعمل على تحرير الانظمة اللاهوتية و الفلسفة من تكرارها او احترارها "للقيم" المحصورة في دين واحد و مسار تاريخي واحد[37]، نحو وضع خطاب انثروبولوجي–ديني علمي موحد، يرتكز على المعرفة العلمية للتركيبة الدينية للأديان.

بعد أن،قدمنا أهم الأفكار التي، جاء بها كل من، "محمد أركون" و"يوسف شلحت"،و كانت على سبيل المثال لا الحصر، فللمفكرين أعمال كثيرة، لم تتوفر لنا لسوء حظنا، و قد اعتمدنا على مؤلفات للباحثين، و من أهم النقاط التي أكد عليها كلاهما:

***الدين هو ظاهرة، يجب على دارس أن يعالجها على هذا الأساس.**

***الإسلام،هو ظاهرة دينية، يجب معالجتها بالطرح السوسيولوجي، و لا يجب النظر إليها من فوق، لان الدين الإسلامي، لم يحظ بالدراسة السوسيولوجية الحقة، كباقي الأديان.**

***الدين هو نتاج اجتماعي و ليس فردي.**

---

[35]-محمد أركون: معارك من اجل الانسنة في السياقات الاسلامية، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(1)2001، بيروت/لينان، الصفحة274.
[36]-محمد أركون: معارك من اجل الانسنة في السياقات الاسلامية، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(1)2001، بيروت/لينان، الصفحة271.
[37]-محمد أركون: معارك من اجل الانسنة في السياقات الاسلامية، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(1)2001، بيروت/لينان، الصفحة299.

***ضرورة ظهور حقل للبحث، و التي هي سوسيولوجيا الإسلام.**

إن أهم، ما يجب الوقوف عليه، أن إمكانية، تأسيس سوسيولوجيا الدين عربية أو سوسيولوجيا الاسلام، قد تكون ممكنة،من الجانب النظري، في حال الثانية، ذلك انه، بالإضافة إلى إسهامات، أركون و شلحت، نجد العديد من المفكرين العرب، الباحثين،في الاسلام، منهم، عبد الله العروي، محمد عبد الجبري، هشام الجعيط، و غريهم من الباحثين، ما يجعل البنية النظرية، للفكر السوسيولجي، تتنامى لدى المجتمعات العربية، و المتجهة بالخصوص، نحو تكوين قاعدة فكرية، ناقدة للواقع الاجتماعي، و مشرحة له، بكل تركيباته و منها الدين.

أما الاحتمال الثاني، نحو سوسيولوجيا دين عربية، فهذا، يمكن، أن يكون غير وارد، بشكل كلي، و ذلك، بالعودة إلى، الفكر القائل، بان العلم و المعرفة تتأتى بالتراكم،و لكن، في نفس الوقت، يجب تبني،أو المزاوجة بين الفكرة التراكمية للعلم، و القطيعة الابستيمولوجية، التي تتم، لاستبعاد الأفكار المغلوطة.

إذن، فان على المفكر العربي، أن يعمل، على استثمار أفكار الباحثين السابقين من اجل، إتمام إنشاء سوسيولوجيا دين عربية و سوسيولوجيا إسلام،و ليس فقط المفكر العربي، بل الباحثين الجامعين، و الجامعيين،فعلى الرغم ، المجهودات التي بذلها هذين المفكرين و غيرهما، فان، الجمهور الجامعي، لازال، يرفض السوسيولوجيا، فما بالك سوسيولوجيا الاسلام، وعليه، فان مادام، الجمهور الجامعي، يرفض تقبل السوسيولوجيا، فإنها، بالصعوبة بما كان،ظهور هذا الحقل البحثي في الأوساط العربية.

و عليه، فان الحكم، على الإمكانية، يكون من جانبين،الأول النظرية،و التي ، تجيب بالإيجاب، هناك إمكانية، و ذلك بتوفر، المقاربات النظرية، و قراءات تحليلية للواقع العربي، أما من الناحية الواقعية العملية، و فهنا، يكمن الإشكال،أين، يرفض المجتمع العربي، هذا النوع، من البحوث، التي يرى في الباحث تدخلا في خصوصياته، و انتهاك، محرمات بحثية، المتمثلة في،الثالوث المحرم(الجنس،الدين و السياسة).

بيبيوغرافيا المداخلة:

1.جورج لابيكا: *تباشير اجتماعيات الدين عند ابن خلدون*، ترجمة: شبيب بيضون، دراسات عربية، العدد5-1986،د.ب.

2.محمد أركون: *العلمنة و الدين(الإسلام، المسيحية، الغرب)*،ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1996،بيروت/لبنان.

3.محمد أركون: *الفكر الإسلامي "نقد و اجتهاد"* ، ترجمة و تعليق: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(3) 1998، بيروت/لبنان.

4.محمد أركون: *تاريخية الفكر العربي الإسلامي*، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي و المركز الثقافي العربي، د.ت، د.ب.

5.محمد أركون: *معارك من اجل الانسنة في السياقات الاسلامية*، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، الطبعة(1)2001، بيروت/لينان.

6.محمد شهاب: *رواد علم الاجتماع*، **www.kotobarabia.com**

7.يوسف شلحت:*مدخل إلى علم اجتماع الإسلام "من الارواحية إلى الشمولية "*،تعريب: خليل احمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة(1)،2003،،بيروت/لبنان.

8.يوسف شلحت:*نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني(الطوطمية-اليهودية-النصرانية-الإسلام)*،تعريب: خليل احمدخليل، منشوراتANEP/دار الفارابي الطبعة(1)2003،بيروت/لبنان.